الزهور

الجزء الخامس  اول يوليو (تموز) ١٩١٠  السنة الاولى

# النهضة الادبية في العراق

وعدنا عند انشاء هذه المجلة ان نجعلها رابطة تعارف بين ادباء الاقطار العربية وبينا فائدة ذلك في حينه . فان الادباء في مصر والشام يعرفون شيئاً عن بعضهم بعض ولكنهم يكادون يجهلون كل شيء عن زملائهم في العراق وسائر بلاد العرب. ونحن نزف الى القراء اليوم هذه المقالة الشائقة التي تحفنا بها اديب من ادباء بغداد الذين يشار اليهم بالبنان وفيها الفوائد الجمة عن النهضة الادبية في هاتيك الانحاء وسيوافينا مراسلونا العديدون في كل بلاد عربية بكل ما تهم معرفته في هذا الشأن:

كلٌّ من يطالع تاريخ اللغة العربية يتحقق امراً وهو ان هذه اللغة لم تبلغ اوجها الا في عصر العباسيين السعيد ، ثم اخذت بعد ذلك بالانحطاط والهوي شيئاً فشيئاً عند تقلص ظل هذه الدولة الجليلة حتى افضت الى دركٍ ليس وراءه درك . فاخذت حينئذ بالخمود او الجمود . ثم انتقلت الى التقهقر

فالعراق كان من اجل البلاد العربية التي نمت فيها اللغة الفصيحة وسارت فيها سيراً حثيثاً . وفي ديار برّز اولئك العلماء النوابغ اي الكوفيون والبصريون . وفي هذين المصرين قام أكتب الكتاب واشعر الشعراء وابلغ

البلغاء واخطب الخطباء . امـا اليوم فقد تبدّلت الاحوال . ولم يبقَ من هذه البلاد . الا الاسمآء دون الرجال

اما الخيام فانها كخيامهم  وارى رجال الحي غير رجاله

على ان الضربة التي قضت على العراق لم يكن سببها مقصوراً على انحطاط دولة العباسيين فقط كما يتوهمه اغلب الناس . بل زادها هولاً قتل ذوي العلم وذبحهم ذبحاً عن بكرة ابيهم وذلك بعد انقراض دولة بني العباس بقرن ونصف قرن . وهو ما استأصل كل الاستئصال عروق العلم ومنابتهُ فانقطع حينئذ متصل حبل التعليم والتدريس والاخـذ والتلقي والتلقين والتأليف والتصنيف ، ثم افنآء الكتب والاسفار بالاحراق والاغراق في ام العراق ، على وجه شنيع وهذا كله في النائبة الاخيرة التي نزلت بها على يد تيمورلنك في ١٠ تموز سنـة ١٤٠١ للمسيح وتبع بغداد في الرزية ، وقاسمها البليـة البصرة والحلة وسائر مدن العراق الكبرى المشهورة يومئذٍ

ان الرزية لا رزية بعـدها  فقدان كل اخٍ كضوء الكوكب

فهذه الرزية العظمى التي لم يقع مثلها في سائر البلاد العربية كالديار الشامية والمصرية والمغربية وغيرهـا هي التي اسكتت نامة العلماء والشعراء والكتاب ردحاً من الزمن ولذا لم يسمع فيه صوت عربي فصيح في العراق كله

وساد الجهل في العراق في كل المدة التي ملك فيها بنو تيمور الى ان انتقلت البلاد الى ايدي آل عثمان فاستقرت بيدهم سنـة ١٠٤٨ م، فاخذ الناس حينئذ يتنفسون الصعداء ، مما دهمهم من البرحـاء بدون ان يخافوا رقيباً او جاسوساً

PÉRIODIQUES - IMA
Bibliothèque
مكتبة
معهد العالم العربي

وفي تلك السنة رجع الآلوسيون الى وطنهم بغداد قادمين من جزيرة آلوس مسقط رأس عميدهم الاول وموئلهم في المخاوف والمهالك . وكانوا قد انهزموا اليها في مذبحة تيمورلنك . فلما رجعوا عاد ضياء العلم والادب الى منبعثه ومصدره وحينئذ اخذ العلماء يتواردون من كل واد ونـاد متأثرين الآلوسيين العلماء العظام . فمنهم من جاء من ناحية الموصل ومنهم من هبط من ديار الشام ومنهم من أقبل من اقطار مصر وغيرهم من غيرها

على ان علم العلماء لم يتعدَّ الجوامع والمساجد والكتاتيب . اما تدوينه في الكتب فان العادة كانت قد ضعفت في اصحابهـا ولهذا لا ترى شعراً او اثراً مذكوراً يرتقي الى ذلك العهد

وانما بدأ عهد التأليف ونظم الشعر وقرضه في ايام داود باشا الكبير والوزير الخطير . فانه كان عالماً جليلاً فضلاً عما كان قد امتاز به من الحنكة والدربة في السياسة اذ كان فيها داهية من الدواهي . فهو اذاً الذي انهض همة الكتبة والعلماء والشعراء ، وايقظ فيهم ملكة الادب التي كانت قد خملت فيهم ، وهو الذي حث اهل العلم والفضل والادب على جمع الكتب والمكاتب فعمر لها الخزائن ونظم المدارس وانشأ المساجد والجوامع الى غير ذلك من الاعمال العالية التي تذكرنا مآثر هارون الرشيد او جلائل المأمون

وُلد داود باشا الكبير في نحو سنة ١١٨٨ هـ ( = ١٧٧٤ م ) في بلاد الكرج وجاء بغداد وكان مملوكاً نصرانياً عمره ١١ سنة جاء به احد النخاسين الى بغداد فاشتراه منه مصطفى بك الربيعي . ثم باعهُ لسليمان باشـا والي بغداد فربّاه احسن تربية وعلمه القرآن ودرّسه العلوم والفنون المشهورة في

PÉRIODIQUES - IMA
Bibliothèque
مكتبة
معهد العالم العربي

ذلك العصر . ولما بلغ عمره ٢٧ سنة اتخذه وليه امين خزنته ( خزنداراً ) ثم ما زال يتقدم والنجاح حليفه حتى صار والياً على بغداد في ٥ ربيع الثاني سنة ١٢٣٢ هـ (= ٢٢ شباط سنة ١٨١٧ م ) وفي سنة ١٢٤٧ هـ (= ١٨٣١ م ) أكره على السفر الى الاستانة فاقام فيها الى سنة ١٢٦٠ هـ (= ١٨٤٤ م ) فأرسله في تلك السنة السلطان عبد المجيد ليكون « شيخ الحرم » فأقام في المدينة يدرس ويعلم الى ان توفي سنة ١٢٦٧ هـ . ( = ١٨٥١ م ) الا انه لم يؤلف كتاباً سمعنا به

في عهد ولاية هذا الوزير الكبير اشتهر شعراؤنا الاولون بعد تلك الفترة الادبية المديدة . واغلب هؤلاء الشعراء غنوا مكارم هذا النابغة نابغة السياسة والعلم وقد نسجوا كلهم على المنوال القديم

فمنهم الملاّ جواد البصير . ومن قصيدة له في الوزير المذكور :

بشرى لمن اشرقت في الكون طلعته  وازهرت في رياض الارض غرته
وبلبل البشر والاقبال حين اتى  غنى واغنت عن الاقيان نغمته

وفي القصيدة ١٩ بيتاً . . . ومنهم الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر وقال:

انار الدهر وابتهج الوجود  واقبلت المسرة والسعود
وجاء الحق متضحاً فزاغت  اباطلهم فهم فيها أُبيدوا

ومن اشتهر بحسن نظمه وتنسيق كلمه صالح التميمي وله اشعار كثيرة وهو الذي انكر على داود باشا ان يقرّظ قصيدة المعلم بطرس كرامه قائلاً انه لا يجوز له ان يقرظ شعراً تنصر ثم انشد :

عهدناك تعفو عن مسيء تعذّرا  ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

وهل من مسيحيٍ فصيح نعده  اذا اينع الشعر الفصيح واثمرا
عداه شبيب والا خصّ وفاته  من الرندوالقيصوم ما كان ازهرا

فأجابه بطرس كرامه بقصيدة رنانة كان لها دوي بعيد في صدور الادباء والشعراء استهلالها :

الكل امرئٍ شأن تبارك من برى  وخصّ بما قدشاء كلاً من الورى
ولو شآء كان الناس امةَ واحد  ولم تلقَ يوماً بينهم قط منكرا
فلا يفتخر مرءٌ بعجبٍ يناله  تلاداً اذا عن طارف المجد قصرا

ومن شعراء عراقنا الملا عبد الحميد رحبي زاده . والحاج محمد . والسيد حسين ابن السيد سليمان الحلي . وعبد الله افندي البصري . والملا حسين ابن ابرهيم جاوش . وعلي بن امين الشيخلي . ومحمد بس بيك ابن امين بك الموصلي . والشاعر عبد الحميد . ودرويش محمد مصاحب . والحاج صالح اغا عبد الجليل زاده . والملا خليل افندى بكتاش زاده . والسيد الملا خميس الموصلي . وحسن بن علي العاملي الفتوني . والملا عبود البصري . ومحمد بن عبد الله الموصلي . ومسعود ابن الوزري . والشيخ عثمان بن سند البصري . والسيد عمر بن رمضان الهيتي . والشاعر الشهير عبد الباقي العمري الموصلي . . . والظاهر ان الوزير داود باشا الف كتاباً هو شرح كتاب لان المغربي احد شعراء بغداد قال فيه يومئذٍ :

شرحٌ تضوع عرفهُ بنضارةٍ  يسبي العقول بنسجه الفتانِ
وحوى مؤلفه العلوم مؤسساً  اوضاعها بمصادر الاتقانِ
فكأنه في وقته لكماله  بدرٌ يشاركه بكل سنانِ

صدرُ الصدور وقدوة العلماء مَن  هو مقصدٌ للوارد اللهفانِ

ومن كواكب تلك الثريا : سالم بك ابن عبدي باشا والي الموصل . والحاج محمد سعيد الجوادي . ومحمد زين الدين الحسني . والشيخ حسن البرزنجي . وباقي افندي العمري . والسيد راضي القزويني . والسيد عبد الغفار الاخرس . وتعداد هؤلاء الشعراء يطول . الا ان يُرصد لكل شاعرٍ ترجمة او لكل بيت اشتهر ابناؤه بالعلم والادب والشعر مقالة فحينئذ يكون قد تم بعض الغرض

وبالجملة يقال ان شعراء العراق اكثر عدداً من شعراء ديار الشام ومصر في هذه الحقبة الاخيرة الا انهم لم يشتهروا اشتهار هؤلاء لاسباب منها : ١ قلة وسائط الطبع في العراق لعدم اختلاط اهله بالافرنج ـ ٢ لبعد موقعه عن ديار اهل الجد والسعي ـ ٣ً لان روح الاستبداد في هذه العقود الاخيرة كان قد اطفأ جذوة كل همـة وحاول اتلاف كل محترف بالادب او معان له ـ ٤ً ان عدم نشر دواوين اولئك الشعراء او قصائدهم أفقد همة كثيرين عن المجاراة والمسابقة فاضرَّ ذلك بالادب والادباء والشعر والشعراء. وهناك غير هذه الاسباب . . .

ومما يلاحظه كل من يريد ان يتتبع آثار النهضة العلمية والادبية في العراق هو :

١ً ــ ان الشعراء على كثرتهم وتكاثف جمعهم ليس فيهم من يستحق ان يقال عنـه انه نبغ في الشعر للسببِ الذي ذكرناه وهو انهم نسجوا على منوال من تقـدَّمهم من شعراء انحطاط الشعر في متوسط عصور الهجرة

بأن انتحلوا أفكارهم وتصاويرهم وأقوالهم ، بل ربما قصائدهم باسرها . ولهذا لم يأتونا بشيء طريف أو ظريف . فلم يمتازوا عنهم بامر يذكر . اللهمّ الا اثنان وهما جميل صدقي افندي الزهاويّ ومعروف افندي الرصافي . وكلاهما حيّ وهما من نوابغ الشعراء العصريين في عهدنا هـذا بل في مقدمتهم . فان شعرهما من احسن ما جاء في وقتنا من اي جهة اعتبرته ومن أي موقف وقفت فيه لتنظر الى محاسنه

٢ً — ان العلماء والادباء والكتبة الذين يستحقون ان يطلق عليهم مثل هذه الالفاظ يعدون على الاصـابع أو قلْ هم منحصرون في آل الآلوسيّ والزهاوي والحيْدَري والسوَيديّ والرحبيّ . وقلما سمعنا بمؤلفات غير ابناء هذه البيوتات

٣ً — انك لا ترى في جميع ما سردناه من الاسماء واحداً من النصارى إن بين الادباء وان بين الشعراء . والسبب هو ان النصارى كانوا دائماً قليلين في العراق ولم يزدادوا الاّ في نصف القرن الاخير . ولما جاؤوا الى هذه الاقطار ، بعد ذبحهم عن آخرهم في القرن الخامس عشر ، كانت غايتهم الاولى البيع والشراء والتجارة وتعلم اللغات الاجنبية كالايطالية والبرتوغالية والانكليزية والهندية سعياً وراء غايتهم . وأما العربيـة فلم يتقنوها لعدم احتياجهم اليهـا في أشغالهم او في وظائف الحكومة بخلاف نصارى ديار الشام ومصر فان اللغة العربية من اللغات التي يرتزق منها من يتقنها

واما نصارى هـذا العهد فقد جروا على آثار من تقدمهم من هجر هذه اللغة الجليلة . واذا كان عندنا اليوم من ينظم الشعر فهو لا يستحق ان

يتَّسم بسمة شاعر او ناظم. او يتسم باسم شوَيْعرٍ أو شعرور. فان اصرّ على ان يتصف بصفةٍ سميناه « بناظم بعرُوْر » . وأما من جهة الكتابة والتأليف فان وجد بيننا من يقع عليه هذا الاسم فلا يحق له الا من باب الاعارة او الاستعارة

٤ً — وأما اليهود فهم غير معذورين في تعلم العربية لانهم كانوا دائماً منتشرين انتشار الجراد في العراق كله وبعدد عديد ، ولم يمحّقوا امحاقاً كلياً . ومع ذلك فلا ترى فيهم من يُحسن كتابة جملة عربية ، بل ولا من يتكلم كلاماً يفهمه غير اليهودي لشناعة لفظهم وسوء استعمال الكلم في محالها وكراهية لهجتهم وقلق نَبرتهم

هذا وما ذكرتهُ الى هنا هو نظرة عموم لا نظرة استقصاء . ثم انهُ لا بدّ لي في الختام من ان اذكر كلمة عن حالة اللغة العربية في يومنا هذا أعني بعد نشر الدستور فاقول :

ان لغة جرائدنا ( وهي في بغداد تفوت العشر) لغة في منتهى الركاكة ولا ترى فيها واحدة ( وهل سمعتَ كلمة « واحدة » فاحفظها لاني لا اقول اكثر) تنهج نهج العربية الفصيحة او تنحوهُ . ومن أغرب الغرائب ان يقع مثل هذا الامر في بغداد دار الفصحاء والعلماء ونوابغ الكتاب والشعراء في سابق العهد . فاذا تصفحتَ احدى هذه الجرائد واردتَ ان تعرف باي لغة تتكلم ، لما اهتديت سبيلاً ولو كنتَ دعميص الرمل أو خِرّيتاً من الخراريت . لانك تساءل نفسك وتقول : لعل صاحب المقال تكلم بالتركية او بالكردية او بالفارسية أو بالهندية أو بالعربية العامية . . .

والاصح انه تكلم بكل هذه اللغات معاً . وأما من جهة اللحن في الاعراب فهذا من مزايا جرائد العراق باسرها من الموصل الى البصرة بل ومن مميزاتها الخاصة بها اكثر من غيرها . واما من جهة الافكار فهي لا تزال في الطلق والمخاض . فان شاء الله تولد وتنشأ فيصح ان يقال فيها « احياها الذي أنشأها » أو « أنشأناها خلقاً آخر . » او الاولى « إنا أنشأناهن إنشاء »

بغداد سانسنا

( الزهور ) نشكر حضرة الاديب الفاضل المتسترتحت هذا الاسم شكراً وافراً ونثني على ادبه ونرحب بكل ما يتحفنا به عن تلك الربوع التي تجلت فيها لغتنا باجمل مجاليها

## ايها الفن

« مرفوعة الى M. E. H. »

ايها الفن ، العظيم بتأثيره ، الغريب باعماله ، السامي بجماله واسراره ، انت شبح من مقدرة المبدع الازلي في نفوس النوابغ المبدعين ، انت روح الله المرفرفة بين قلوب البشر واللانهاية ، انت فكرةٌ مستيقظة في هذا العالم النائم بحراكه ، الجامد بمسيره

باصابعك الخفية تتناول العناصر وتكوّن منها صوراً واشباحاً واجساماً وانغاماً تبقى ببقاء الزمن وتظل جميلة الى النهاية . . .

ان العدم يصير وجوداً عند ما يمرُّ امامك ، واللاشيء يصبح شيئاً اذ يلامس اطراف اذيالك ، والموت ينقلب حياة بوقوفه لديك . جميع الاصوات